الصراع السياسي بين تيمور لنك والمماليك والعثمانيين وأثره على البلدان التي دار فيها هذا الصراع

أ.م.د. علي زهير الصراف
مركز دراسات الكوفة/ جامعة الكوفة

المقدمة:

إن تاريخ المسلمين لا يختلف عن تواريخ باقي الأمم والممالك في رغبة كل طرف في الاستمرار في الحكم من خلال إضفاء الشرعية على نفسه وحكمه ونزعه من خصومه وبالتالي محاولة إبعادهم عن المنافسة السياسية بشتى الوسائل وصولاً حذفهم من الساحة بواسطة بوسائل مختلفة أيضاً آخرها وأهمها الخيار العسكري.

وفي هذا السياق وفي نهاية القرن الثامن ومطلع القرن التاسع الهجريين/ الرابع عشر والخامس عشر للميلاد ومع ظهور تيمور لنك القائد العسكري السفّاح المتفنن في الحيل السياسية من منطلق قوته العسكرية الهائلة وكثافة جيشه المتجحفل الذي كان عدده يقارب المليون نسمة بحسب المصادر التاريخية ورغبة تيمور الجامحة في الصدام مع خصومه وافتتاح المزيد من البلدان وضمها لمملكته الواسعة وجشعه وحرصه في اقتناء المزيد من الأموال والتحف والهدايا لا مناص من حدوث أزمات سياسية من خلال افتعال تيمور لتلك الأزمات أو احتكاك الآخرين من منافسيه به، فكان سرعان ما يختار الحسم العسكري ومن نوعه المدمّر. وكانت لكثرة هذه الحروب الأثر البالغ في هدم ما تبقى من حضارة المدن في المشرق وبلاد الشام والأناضول بعد أن دخل تيمور في صراع مع المماليك المسيطرين على البلاد الشامية والعثمانيين الناشئين حديثاً في آسيا الصغرى.

ويحاول هذا البحث إلقاء نظرة شاملة على طبيعة هذا الصراع بين تيمور والمماليك والعثمانيين وأسبابه ومقوماته مع نظرة لما آل إليه وضع البلدان التي دار فيها هذا الصراع حضارياً واقتصادياً وثقافياً وغيرها من الجوانب.

أولاً: تسلّم تيمور لنك مقاليد السلطة في المشرق وأثر حكمه على الأوضاع الاجتماعية والثقافية فيه:

شهد العصر الذي تلا سقوط الدولة الايلخانية عام ٧٣٦ هـ/ ١٣٣٦ م بشكل عام فوضى سياسية في المشرق (العراق وإيران) شملت تشكيل كيانات سياسية إسلامية صغيرة وكبيرة هنا وهناك حتى توحيد العراق وإيران وبلاد الشام لبرهة من الزمن تحت لواء تيمور لنك (الأعرج) (حكم: ٧٧١ . ٨٠٧ هـ/ ١٣٧٠ . ١٤٠٥ م) الذي غزى فيها العالم الإسلامي طولاً وعرضاً في سلسلة غزوات مدمرة كان عددها خمسة واستمرت منذ عام ٧٨١ هـ/ ١٣٧٩ م حتى وفاته عام ٨٠٧ هـ/ ١٤٠٥ م. أما في مصر والشام فنلاحظ استمرار حكم المماليك (٦٤٨ . ٩٢٣ هـ/ ١٢٥٠ . ١٥١٧ م) قبل انتزاع بلاد الشام منهم على يد تيمور نفسه لبعض الوقت وقد عاد لحضنهم من جديد فيما بعد.

وإذا ما استطلعنا أسباب سقوط الدولة المغولية في المشرق التي لم تستمر لمدة قرن من الزمن، نستطيع تلخيصها في أن أعباء الحكم ومشاكله كانت أكبر من طاقة الايلخانيين جميعاً حتى أننا لا نجد بينهم ايلخاناً واحداً طال حكمه أكثر من عشر سنوات سوى أباقا خان (حكم: ٦٦٣ . ٦٨٠ هـ/ ١٢٦٥ . ١٢٨١ م)، أما أبي سعيد فلا عبرة لما استغرقه من زمن حكمه فأغلب أيامه كان قاصراً محجوراً عليه. والأمر الآخر هو طبيعة الطفرة السريعة التي نقلتهم من حياة البداوة إلى حياة الاستقرار، فلم تولد لهم سوى الكسل والرخاء والسلطان؛ فاندفعوا بغير روية كالمحرومين وراء عواطفهم وشهواتهم وانغمسوا في الترف والفجور حتى أصبحت الخمرة والجنس أهم ما يشغل بال أحدهم في حياته، كما أن للخلافات الداخلية والصراع على

السلطة التي وقع بين أبناء الأسرة الواحدة دور مهم في سقوط الايلخانيين من خلال عدم وجود قانون لتنظيم وراثة العرش، ولم يكن قانون "الياسا" الجنكيزي قانوناً ملائماً يعني بالغرض لتنظيم هذا الأمر الخطير وأصبح العرش بعد ذلك ولمدة طويلة من الزمن من نصيب كل طامع فيه من أبناء الأسرة يستطيع امتلاك القوة التي تفرض التغيير الملائم لأحكام الياسا لتبرير استيلائه عليه. كما كان لانعزال المغول عن الشعوب الخاضعة لهم وتكوينهم طبقة عسكرية حاكمة على البلاد الإسلامية بسبب طبيعتهم العسكرية وإخضاعهم لتلك الشعوب بالقوة القاهرة فلم يستطيعوا أن ينالوا ثقة المحكومين ليرضوا بهم. والعامل الآخر هو الاختلاف الحضاري الكبير بين هؤلاء الحكام البدويين ومدنية المحكومين وانعكس ذلك على سلوك كل منهما في حياته وعلاقاته إذ تسبب في عجز المغول في مجاراة الشعوب الذي يحكمونها؛ فبقوا نتيجة لذلك طبقة عسكرية حاكمة منعزلة عن المحكومين الذين لا يهمهم سوى الطاعة ودفع الضريبة. [١]

فبعد أربعة أشهر ونصف على موت أبي سعيد آخر إيلخانات فارس ولد تيمور لنك في ٢٥ من شعبان من عام ٧٣٦ هـ/ ٧ نيسان ١٣٣٦ م. وبعد ٤٦ عاماً أي في عام ٧٨٢ هـ/ م بدء تيمور بأول غزواته على بلاد فارس واستطاع من الاستيلاء على إيران والعراق وبلاد الشام وأجزاء من بلاد الأناضول بحلول العام ٨٠٤ هـ/ ١٤٠٢ م وبذلك أكمل السيطرة على إمبراطوريته الواسعة التي شملت هذه المناطق شرقاً وغرباً ومن بلاد الهند جنوباً حتى أطراف موسكو في روسيا شمالاً. [٢] وخلال المدة بين عامي ٧٣٦ هـ/ ١٣٣٦ م ـ عام سقوط الدولة الإيلخانية ـ وعام ٨٠٤ هـ/ ١٤٠٢ م ـ أي سنة تكوين إمبراطورية تيمور الشاسعة ـ وهي ما تقارب السبعين عاماً حكمت سلالات مختلفة في المشرق وهم حسب قدم تأسيس دولهم كالآتي:

١. آل كرت وهم عمّال بنو جغتاي بن جنكيز خان (ت ٦٣٩ هـ/ ١٢٤٢ م) (٦٤٣ ـ ٧٩١ هـ/ ١٢٤٥ ـ ١٣٨٩ م) في هرات وبلخ وغزنه وسرخس.

٢. بنو إينجو (٧٠٣ . ٧٥٤ هـ/ ١٣٠٤ . ١٣٥٣ م) في شيراز.

٣. بنو المظفر (٧١٣ . ٧٩٥ هـ/ ١٣١٣ . ١٣٩٩ م) في فارس وكرمان وكردستان.

٤. بنو جوبان (٧١٨ . ٧٥٦ هـ/ ١٣١٨ . ١٣٥٥ م) في أذربيجان

٥. آل جلائر (٧٣٦ . ٨٣٥ هـ/ ١٣٣٦ . ١٤٣٢ م) في العراق

٦. السربداريون (٧٣٧ . ٧٨٣ هـ/ ١٣٣٧ . ١٣٨١ م) في خراسان ودامغان.

٧. بنو طغا تيمور (٧٣٧ هـ/ ٨١٢ هـ/ ١٣٣٧ . ١٤٠٩ م) في إسترآباد ومازندران. [٣]

وكانت هذه الدول تتصارع فيما بينها على توسيع مناطق نفوذها. فمن الواضح من هذا المختصر مدى التشرذم السياسي الذي عاشه المشرق الإسلامي في هذه الأعوام السبعين من خلال الصرعات السياسية بين هذه الدويلات وتبين أن ليس بإمكان أي من هذه الدويلات المقاومة أمام غزوات تيمور المدمرة الفتاكة كما سنرى.

أما عن تيمور وغزواته وضراوتها وقسوتها فهي كسلفه جنكيز خان بل فاقته، فكان سلطاناً متجبراً متكبّراً ظالماً لا يهمه حياة البشر جميعاً إذا تقاطعت مع رغباته وأهدافه ونزواته. وقد كانت مجموع غزواته على أرجاء العالم خمسة حملات:

١. غزواته الأربع على بلاد الخوارزم التي استمرت نيفاً وعشر سنين من عام ٧٧١ هـ/ ١٣٦٩ م حتى عام ٧٨٢ هـ/ ١٣٨٠ م.

٢. غزوه الأول لبلاد فارس الذي شمل خراسان وسجستان وجرجان ومازندران بين عامي ٧٨٢ . ٧٨٨ هـ/ ١٣٨٠ . ١٣٨٦ م، كما غزى العراق ولرستان (الجبال) وأذربيجان وقتل أهل أصفهان بسبب انتفاضاتهم ضده فكان مجموع القتلى سبعين ألف شخص.

٣. حرب السنين الخمس بين عامي ٧٩٥ . ٧٩٩ هـ/ ١٣٩٣ . ١٣٩٨ م إذ قضى خلالها على دولة بني المظفر في فارس عام ٧٩٥ هـ/ ١٣٩٣ م، ثم غزى الجزيرة بهدف إسقاط الحكم الجلائري الذي فرّ سلطانها إلى دولة المماليك فاستجار بهم ورفض سلطان مصر آنذاك تسليمه لتيمور. كما غزى تيمور في هذا الحرب آسيا الصغرى (الأناضول) أيضاً واستولى على الرها وتكريت وماردين وآمد ثم أغار على بلدان الشمال التي شملت أرمينية والكرج وروسيا حتى وصل إلى موسكو.

٤. غزو الهند بين عامي ٨٠٠ . ٨٠١ هـ/ ١٣٩٩ . ١٤٠٠ م حتى وصل إلى دلهي فخرّبها وقتل ثمانين ألفاً من أهلها.

٥. حرب السنين السبع بين عامي ٨٠١ . ٨٠٧ هـ/ ١٤٠٠ . ١٤٠٦ م ضد الجلائريين والمماليك والعثمانيين؛ إذ سار إلى بلاد الكرج والأناضول ثم دخل بلاد الشام واستولى على حلب ثم حماة وحمص وبعلبك وهزم سلطان مصر السلطان ناصر الدين فرج بن برقوق (حكم: ٨٠١ . ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٠ . ١٤٠٧ م) وسقطت مدينة دمشق فأعمل فيها السلب والنهب، كما غزى بغداد عام ٨٠٣ هـ/ ١٤٠١ م وأوقع في أهلها مقتلة عظيمة ثم حارب السلطان بايزيد الأول (حكم: ٧٩٢ . ٨٠٥ هـ/ ١٣٩٠ . ١٤٠٣ م) فانتصر عليه في معركة أنقرة الشهيرة في ١٩ ذو الحجة عام ٨٠٤ هـ/ ٢١ تموز ١٤٠٢ م ووقع بايزيد في أسر تيمور. [٤]

ومع تحمّل تيمور لسفك كثير من الدماء والدمار الهائل الذي أحدثه في البلاد الإسلامية وغيرها إلا أن أولاده وأحفاده كانوا مسالمون قد جنحوا إلى التحضر ودعم العلم والعلماء بشكل عام ممّا يجعلنا أن نعتبر

عصر خلفاءه عصر ازدهار للعلوم والفنون والآداب. ويعدّ وفاة تيمور سياسياً بمثابة بداية تفكّك إمبراطوريته الكبرى وصراع الأبناء والأحفاد على إدارة البلاد خاصة بعد وفاة شاهرخ (حكم: ٨٠٧ . ٨٥٠ هـ/ ١٤٠٤ . ١٤٤٦ م). ويمكن أن نقسّم تاريخ بني تيمور إلى عهدين متمايزين؛ ففي الأول أصبحت الإمبراطورية التي قسّمت بين أولاد تيمور وأحفاده مملكتين كبيرتين؛ فكان الغرب مملكة ميرانشاه وولديه أبي بكر ومحمد عمر، وفي الشرق مملكة شاهرخ. وكانت تشمل كل البلاد التي حكمها تيمور تقريباً. وكانت في أول أمرها لا تتعدى خراسان ثم ضمّ إليها بعد سنوات قلائل بلاد ما وراء النهر. وكان هذا العهد زاهراً سعيداً بالقياس إلى غيره من العهود، فقد كان شاهرخ يميل إلى السلام وسعى إصلاح ما خرّبه أبوه، ولم يدّخر وسعاً في تقريب العلماء. وأخذت الإمبراطورية تتصدّع في العهد الثاني الذي بدأ بموت شاهرخ، فكان في ذلك الضربة القاضية على سلطان بني تيمور، إذ نزع كل اميرٍ إلى الاستقلال بمملكته فتمكن الأعداء الذين كانوا يهدّدون الإمبراطورية المتداعية من جميع الجهات. [٥]

ومن المفارقات العجيبة أن النهضة العلمية التي اتسم بها عهد شاهرخ أول خلفاء تيمور ظلّت محتفظة بكل بهائها في عهد خلفائه حتى نهاية حكمهم وكان القرن الخامس عشر الميلادي/ التاسع الهجري بأسره عهداً ذهبياً للأدب والفنّ، فقد كان بلاط حسين بايقرا (حكم: ٨٧٨ . ٩١٢ هـ/ ١٤٧٣ . ١٥٠٦ م) آخر بني تيمور لا يقل شأناً عن بلاط شاهرخ. [٦] فكثرة الحروب خاصة في زمن تيمور نفسه والتنافس الداخلي على السلطة في عهد خلفائه والحروب الخارجية وكثرة القتل والسلب والنهب مما يفضي إلى نوع من عدم الاستقرار وفقدان الأمن والطمأنينة اللازمتين المهمتين في انشغال الناس بالعلم وبالتالي قلة المصنّفات والنتاجات العلمية وعدم الرقي العلمي؛ إلا أن هذه الفترة لم تكن كذلك بل على العكس تماماً فهي عهد الرقي العلمي وتشعّب الفنون والآداب المختلفة بسبب دعم السلاطين والأمراء التيموريين للعلم والعلماء والأدباء. وحتى

تيمور نفسه كان يجلّ ويحترم العلماء ويأخذ من يشاء من الحرفيين والصنّاع والفنانين والعلماء عند غزوه لكل مدينة إلى مركزه سمرقند وهكذا درج عليه أولاده وأحفاده. ومن مميّزات هذا العصر كثرة المدارس والمنشآت العلمية التي استحدثها السلاطين والأمراء هنا وهناك؛ فمن أهمّها: مدرسة أمير فرمان شيخ (ت ٨٣٤ هـ/ ١٤٣١ م) من المقرّبين من شاهرخ ومدرسة جلال الدين فيروز شاه ومدرسة "كوهر شاد بيكم" زوجة شاهرخ والمدرسة البيكمية التي أسستها "سلطان بيكم" زوجة السلطان حسين بايقرا كلها في دار ملكهم مدينة "هراة"، ومدرسة السلطان حسين بايقرا في هرات أيضاً، ومدرسة "ملكت آغا" من نساء شاهرخ في بلخ، ومدرسة كوهر شاد زوجة شاهرخ في مشهد ومدرسة الميرزا "ألغ بيك" في سمرقند والمدرسة الحافظية ومدرسة الأمير جخماق الشامي في مدينة يزد وغيرها من المدارس والمراصد الفلكية والمكتبات ودور العلم. [٧] كما وجدت الكثير من الأوقاف لتعليم العلوم الشرعية احتوت على مدارس ومساجد ومساكن للطلاب وعمل فيما خدم تلك الأماكن في قبال تقاضي أجور من واردات تلك الأوقاف والمبرّات في الكثير من مدن المشرق الإسلامي. إلا أن اللافت في تحليل الجانب العلمي في هذه الفترة هو عدم وجود الإبداع والابتكار في المصنّفات العلمية واقتصارها على نقل أفكار العلماء الماضين وشرح وتفسير أقوالهم وآثارهم، فالحقيقة هي أن هذه الفترة شهدت توسّع ورواج وانتشار العلوم المختلفة من حيث الكمّ وليس من حيث الكيف والعمق. وعلى أي حال فإن المصنّفات العلمية وعلماء هذه الحقبة هي أفضل بكثير من مصنّفات وعلماء العصور اللاحقة كما أننا نلاحظ بعض المصنّفات الممتازة في هذا العصر تفوق مثيلاتها السابقة في نفس الموضوع [٨]

وكان لهذا الازدهار العلمي أسباب اجتماعية ودينية هامة. أما من الجانب الديني كان تيمور وخلفائه قد خالفوا سياسات الإيلخانيين السابقة في عدم التعصّب تجاه المذاهب الإسلامية وعدم تبنّي أي منها. فجنكيز

نفسه وأغلب خلفائه لم يكونوا مسلمين أساساً، وأن من أسلم من الإيلخانيين السلطان أحمد تكودار (حكم: ٦٨٠ . ٦٨٣ هـ/ ١٢٨٢ . ١٢٨٥ م) ومحمود غازان (حكم: ٦٩٤ . ٧٠٣ هـ/ ١٢٩٥ . ١٣٠٤ م) ومحمد خدابنده ألجايتو (حكم: ٧٠٣ . ٧١٦ هـ/ ١٣٠٤ . ١٣١٦ م) وأبي سعيد بهادر خان (٧١٦ . ٧٣٦ هـ/ ١٣١٦ . ١٣٣٥ م) لم يكونوا متدينين ومتعصبين لأحد المذاهب الإسلامية بل مناصرين لعموم المسلمين وعقائد الإسلام، إلا أننا نجد أن الروحية المذهبية مسيطرة في هذه الفترة على مختلف الصعد الاجتماعية وأن تيمور وخلفائه حكموا وفق قواعد الشريعة الإسلامية وكانوا متدينين حقيقتاً أو كذباً. وهذا ما أثّر على تقوية الدين وتطبيقه في المجتمع، أضف إلى ذلك النكبات التي كانت تتلاقاها الشعوب الإسلامية في المشرق جرّاء غزو المغول ومن بعده تيمور وظلم السلاطين والملوك وولاتهم وتقسيم البلاد إلى ممالك متناحرة مما أدى كثرة الحروب والنزاعات كل ذلك تسبّب في تقوية الوازع الديني في المجتمع. فالتيموريين ومع ظلمهم وبطشهم ضد رعاياهم إلا أنهم كانوا يرعون علماء المذاهب والمشايخ وكانوا يجلّونهم ويتواضعون أمامهم وكانوا في نفس الوقت يبحثون عن سبب شرعي ليجعلوه حجة في توسعاتهم في كافّة البلدان، فمثلاً نجد أن تيمور كان قد عنون حربه الأخير ضد الصين الذي لم يوفق في إنجازه بسبب موته بالجهاد وقد اعتبر مؤرخه شرف الدين علي اليزدي (ت ٨٥٨ هـ/ ١٤٥٤ م) هذا الحرب كفارة لما قام به سيّده من سفك لدماء المسلمين في توسّعاته السابقة. [٩] وفي نفس الوقت نجد تيمور كان قد رعى الكثير من المجالس والمحافل الدينية وناقش العلماء في المباحث الكلامية الشرعية، وكان يزور علماء الدين والمشايخ الأحياء والأموات وقبور ومراقد الأئمة والعلماء الأموات. [١٠] وفي هذا السياق كان شاهرخ ابن تيمور وخليفته ممّن أبدى اعتقاداً راسخاً وتعصباً في تطبيق الشرع وكان يقرّب العلماء ومشايخ الصوفية والعرفاء من نفسه حتى عرف بـ "مجدّد الدين". [١١] وسعى تيمور وخلفائه وراء استحصال لقب "الخليفة"، وكانت بوادر خجولة قد

حصلت منهم في هذا الشأن، فمثلاً تيمور نفسه قد لقِّبَ بـ "صاحب الخلافة"، كما وصف ولده وخليفته شاهرخ بـ "الشمس الساطعة" في سماء الخلافة وعرف السلطان أبي سعيد ميرزا بن محمد بن ميرانشاه بن تيمور (حكم: ٨٥٥ . ٨٧٢ هـ/ ١٤٥١ . ١٤٦٨ م) كجده تيمور بـ "صاحب الخلافة". [١٢] فنتيجة لتوجهات تيمور وخلفائه الدينية ورعايتهم للعلماء ورجال الدين توسّعت العلوم الدينية وازداد أرباب المذاهب من العلماء والفقهاء وشيّدت الكثير من المدارس العلمية والمساجد ودور العلم والزوايا والخانقاهات الصوفية، فقد كانت هذه المؤسسات الدينية تدار من قبل أرباب المذاهب وبقصد كسب أتباع ومريدين لهم وإشاعة مذاهبهم وطرقهم والعلوم الدينية المختلفة وأن العلوم كانت تقتصر على العلوم الدينية عدى النزر اليسير في الطب والرياضيات ومشتقاتها من الفلك والهيئة وغيرها التي يمكن اعتبارها من توابع العلوم الدينية أو أنها وجدت لصالحها في تعيين المواقيت الشرعية وغيرها من الأمور القريبة من هذا الاتجاه. [١٣]

وعن التشيع ومعطيات علاقة تيمور وخلفائه بهذا المذهب وأتباعه تنبئنا المصادر التاريخية أن التيموريين كانوا على الاعتقاد بالمذهب الحنفي من مذاهب أهل السنة الأربعة وأن علماء البلاط وأغلب أهل مملكتهم في بلاد فارس وخراسان وما وراء النهر كانوا من أتباع هذا المذهب إلا أن عدد الشيعة في مملكتهم كان عدداً لا بأس به وكان تمركزهم في خراسان وأذربيجان والعراق دون شرقي خراسان وما وراء النهر. ومما صدر عن تيمور من اهتمام بالشيعة وعلمائها وقضاء حوائجهم يمكن اعتباره استغلالاً سياسياً واجتماعياً لهذا المذهب وأتباعه في سبيل توسّعاته في المنطقة، فكان تيمور يظاهر بحبّ الإمام علي (عليه السلام) حتى يمنع أي ممارسة عدائية تجاهه ويطمئن الشيعة لتقبّل حكمه. [١٤] وبشكل عام فإن الصراع السني الشيعي كان لا يزال قائماً في المشرق في العهد التيموري لكن بوتيرة أقل من العصر الصفوي وأن التشيع كان نتيجة منحاً تصاعدي في المشرق في مقابل ضعف وتيرة الإقبال على المذاهب السنية هناك. وليس

لدينا أي دليل تاريخي دالّ على ممارسة أي من الضغوطات من قبل الطرفين على الآخر أو من جانب السلطات لترويج مذهب معيّن على حساب باقي المذاهب، بل على العكس نلاحظ أن بعضاً من الحكام والأمراء التيموريين كانوا على جانب كبير من التسامح والحرية المذهبية. وبشكل عام فإن الشيعة في هذا العصر كانوا أحراراً في معتقداتهم وفي الدعوة لها خاصة في نهاية العصر التيموري وفي ظل حكم السلطان حسين بايقرا ووزيره الشيعي الأمير علي شير نوائي. (١٥)

أما على الصعيد الاجتماعي وعلاقته بالحركة العلمية في عصر التيموريين فهناك ظاهرة مهمة امتاز بها هذا العصر وهي تطوّر واتّساع الحركات الصوفية والتدين بهذا الأسلوب. والأهم من ذلك ولأول مرة في تاريخ التشيع أن يحدث امتزاج لبعض عقائد الصوفية مع أفكار وعقائد شيعية لتكوين حركات فكرية . سياسية كان لإحداها قصب السبق فيما بعد واستطاعوا من الوصول إلى السلطة عام ٩٠٧ هـ/ ١٥٠٢ م وتكوين دولة باسم طريقتهم "الصفوية". وكان هذا الأمر نتيجة توسّع وانتشار التشيع في المنطقة بموازاة التوجهات الصوفية التي دعمتها السلطة التيمورية أيضتً، فكانت هذه الفترة ذات طابع خاص في التواصل بين التصوف والتشيع بدأ معهما كل من هذين المشربين، وقد فقد أحدهما تميّزه لصالح الآخر مع زيادة في تركيز العنصر الفلسفي في تركيب العقيدتين. (١٦)

ولهذا التوسّع أسباب أهمها تظاهر تيمور في كونه تابع للعلماء ومن مريدي الطرق الصوفية ودرج على هذا الأمر خلفاؤه من الولاة والأمراء؛ وعليه فإن التصوف أصبح من معالم هذا العصر وسائداً في مختلف أنحاء الحياة الاجتماعية، فالتصقت الطريقة الصوفية بالشريعة في الزوايا والخانقاهات والمدارس والمساجد حتى أصبح التمايز بينهما أمراً صعباً؛ ولذا زاد احترام الناس لأقطاب الصوفية ومشايخها وكثر مريدوهم إثر توسّع تشكيلات التصوّف الدينية التعبّدية؛ فنشأت الكثير من السلاسل الصوفية وطرقها المختلفة بآرائها وعقائدها

في هذا العصر. ومع دخول أصول التصوف والعرفان في المآثر والكتب وتصنيف الرسائل والمقالات المختلفة في كيفية التعبّد به أصبح التصوف علماً يدرّس في المدارس الدينية وصار من الأمور الشعبية المتداولة ودخل في مجال الأدب وصار من المعارف العامة. وما كان يدعم هذا الأمر هو كثرة عناية الأمراء والملوك بأحوال المشايخ والعرفاء والصوفية وكثرة الموقوفات لغرض التبرّك وما شابه. [١٧]

ثانياً: الصراع السياسي بين تيمور لنك والمماليك:

أما عن وضع بلاد الشام في هذا العصر وهو المكان الذي دار فيه هذا الصراع فكان في بادئ الأمر تحت حكم دولة المماليك (٦٤٨ . ٩٢٣ هـ/ ١٢٥٠ . ١٥١٧ م) والمماليك هم في الأصل عبيد استخدموا كفرق عسكرية خاصة عند الأيوبيين (٥٦٤ . ٦٤٨ هـ/ ١١٦٨ . ١٢٥٠ م) بهدف الاعتماد عليهم في تدعيم نفوذهم. ويعود جذور استخدام العبيد داخل الدولة العربية الإسلامية لزمن المعتصم العباسي (حكم: ٢١٨ . ٢٢٧ هـ/ ٨٣٣ . ٨٤٢ م) وكان مصدرهم آنذاك بلاد ما وراء النهر ومدنها من المصادر الرئيسية لتصدير الرقيق البيض ذوي الأصول التركية. [١٨] ثم كان للعنصر التركي الذي أسلَمَ، أدورا هامة في الدولة العربية الإسلامية منذ عصر المعتصم، فقد أصبحوا قادة للجيوش والأمراء الحقيقيين في البلاط العباسي بعد أن ضعفت سلطة الخلفاء. ونشأت دول عديدة بعد أن استقلّت الكثير من بلدان الشرق والغرب عن جسد الدولة العباسية وهي من ذوي أصول تركية ممن كانوا يُسْتَرَقُّون سابقاً. وكان هؤلاء الحكام الأتراك يستخدمون بدورهم أتراكاً آخرين دخلوا البلاد الإسلامية حديثاً كعبيد بعد أن يربّون تربية إسلامية بالقرب من السلاطين والأمراء. وقد درج على هذا الأمر الدويلات الإسلامية المختلفة سيّما السلاجقة الذين أقطعوا الإقطاعات لهؤلاء الأتراك المماليك بهدف الحفاظ على استمرارية الدولة نتيجة اعتناء المقطعين بإقطاعاتهم، ثم أتْبَعُوا

هذه الإقطاعات الزراعية بالقلاع والمدن مقابل تقديم الخدمات العسكرية وقت الحرب وتولّي شؤون تربية أبنائهم وتأديبهم. وقد عرف هؤلاء الأمراء بالأتابكة ومعناها "مربي الأمير". (١٩)

وقد درج على هذا الأمر كما أسلفنا الأيوبيين في مصر والشام واستخدموا المماليك في إدارة الدولة والأمور العسكرية. وقد بلغوا مبلغاً من القوة ممّا دفع الأيوبيين لاستشارتهم والنزول عند إرادتهم في كثير من الأحيان. وبعد وفاة صلاح الدين الأيوبي عام ٥٨٩ هـ/ ١١٩٣ م ازداد الخلاف بين خلفائه واستعان كل منهم بمماليكه وزادوا من شرائهم وأنشؤوهم تنشئة عسكرية خاصة ليكونوا سنداً لهم. وسرعان ما أضحى لهؤلاء من النفوذ ما كان له تأثير قوي في مجرى الأحداث التي تعرّضت له المنطقة. وراح هؤلاء المماليك في مصر ينصّبون الملوك الأيوبيين ويخلعون آخرون. وفي عصر الصالح نجم الدين أيوب (حكم: ٦٣٧ . ٦٤٧ هـ/ ١٢٤٠ . ١٢٤٩ م) قد ساندوه توطيد سلطانه فأكثر من شرائهم لدرجة لم يبلغها غيره من أهل بيته حتى أضحى معظم جيشه منهم. واستغل المماليك الصالحية سطوتهم في مضايقة الناس والعبث بممتلكاتهم وارزاقهم حتى ضجّ الشعب من عبثهم واعتدائهم، فأبعدهم الصالح أيوب عن العاصمة وبنى لهم قلعة خاصة في جزيرة الروضة في نهر النيل لتكون مقراً لهم. وسرعان ما أثبت هؤلاء المماليك كفاءتهم العسكرية من جديد وتصدّو لخطر الصليبيين في حملتهم على دمياط والمنصورة. وفي ظل مثل هذه الظروف الحرجة توفي الملك الصالح أيوب وتوّلت زوجته شجرة الدرّ مقاليد الأمور، فأخفت موت زوجها ودعت ولده الملك المعظم تورانشاه من حصن كيفا ليصبح ملكاً على مصر. وحين قدومه أساء إلى المماليك ولشجرة الدر نفسها، فقادت هي وكبير المماليك آنذاك عزّ الدين آيبك ثورة داخلية ضده أدّت إلى قتله. وبعد ما وجدت معارضة من قبل الخليفة في بغداد لحكمها خلعت نفسها وتزوجت من الأمير عز الدين آيبك وبذلك أصبح المماليك على رأس

السلطة. [٢٠] وقد عرف هؤلاء المماليك باسم "المماليك البحرية" الذين كونوا الدولة الأولى التي استمرت حتى عام ٧٨٤ هـ/ ١٣٨٢ م نسبة لبحر النيل الذي أحاط بثكناتهم العسكرية في جزيرة الروضة. [٢١]

أما "المماليك البرجية" أو "الشركسية" فهم عناصر قوقازية الجنس، وقد خدموا في الجيش المملوكي زمن الدولة الأولى، ويطلق عليهم في المصادر العربية اسم الجركس أو الشركس أو الشراكسة وفي القليل الجهار كس مع أنهم من الجنس التركي العام. [٢٢] وتشير المصادر العربية إلى أنهم أعداء الأتراك ويعود تواجدهم في جيش المماليك البحرية إلى أوائل حكم السلطان المنصور سيف الدين قلاوون الألفي (حكم: ٦٨٩.٦٧٨ هـ/ . م) فقد جعلهم في أبراج القلعة وسمّاهم البرجية. [٢٣]

وفي زمن الأشرف خليل (حكم: ٦٨٩ . ٦٩٣ هـ/ ١٢٩٠ . ١٢٩٤ م) سمح لهم بمغادرة أبراجهم وطبقاتهم بالقلعة والنزول إلى القاهرة ومصر. وتسبّب هذا الأمر بانغماس المماليك البرجية في الحياة العامة ومشاكلها بعد أن خرجوا من عزلتهم واختلطوا بغيرهم من طوائف المماليك وعامة الناس وأنهم لم يلبثوا أن استثاروا حقد بقية طوائف المماليك بسبب ما اختصوا به من رعاية السلطان لهم، [٢٤] كما أنهم قاموا بأداء وظيفتهم السياسية خير أداء فحافظوا على مصالح أسيادهم البحرية. وقد أدى دفاع الشراكسة عن مصالح أبناء المنصور قلاوون البحريين إلى كثرة النزاعات في ذلك العصر وتحوّل النزاع بين الأمراء بعضهم البعض، أو بين أنصار بيت قلاوون وخصومه إلى نزاع بين الشراكسة والأتراك [٢٥] وكانت نتيجة هذا الصراع خلع آخر سلاطين المماليك البحرية السلطان صلاح الدين حاجي الثاني (حكم: ٧٨٣ . ٧٨٤ هـ/ ١٣٨١ . ١٣٨٢ م) لتبدأ دولة المماليك البرجية التي دامت ١٣٤ سنة، تعاقب على عرش السلطنة خلال مدة حكمهم ٢٥ سلطاناً وكان جميعهم من الشراكسة ما عدا إثنين من أصل يوناني هما الظاهر سيف الدين خشقدم (حكم: ٨٦٥ . ٨٧٢ هـ/ ١٤٦١ . ١٤٦٨) والظاهر تمُربغا (حكم: ٨٧٢ هـ/ ١٤٦٨ م) [٢٦] ولم يظهر

بينهم سلطان عظيم، إذ كان عهدهم عهد قلق واضطراب؛ إذ كثر فيه تغيير السلاطين حتى كان فيهم من حكم ليلة واحدة أو بضعة الشهر أو بضعة أيام. [٢٧] وكان أول من حكم منهم الظاهر سيف الدين برقوق اليلبغاوي من سنة ٧٨٤ هـ/ ١٣٨٢ م حتى عام ٨٠١ هـ/ ١٣٩٩م تخلّلته ثورة البحريين الذين عادوا للسلطة من خلال عودة آخر ملوكهم الصالح صلاح الدين حاجي خلال عامي ٧٩١ . ٧٩٢ هـ/ ١٣٨٩ . ١٣٩٠ م، إلا أن برقوق تمكن من خلعه وزجّه إلى السجن. [٢٨] وكان برقوق قوي الشخصية واسع الحيلة قد تحمّل المشاق والمصاعب، وقد طفح عهده بالفتن والثورات. [٢٩]

ومع تخلّصه من الثورات وجلوسه على عرش مصر في جمادى الآخرة من سنة ٧٩٢ هـ/ ١٣٩٠ م لم تكد مصر والشام لتهدأ حتى ظهر خطراً هدّد المشرق الإسلامي، وهو تيمور لنك (الأعرج) الذي بدأت أخباره تتصل بالشام ومصر والمماليك عندما افتتح بغداد في شوال من سنة ٧٩٥ هـ/ وهرب السلطان غياث الدين أحمد بهادر بن أويس الجلائري (حكم: ٧٨٤ . ٨١٣/ ١٣٨٢ . ١٤١٠ م) إلى السلطان برقوق المملوكي في القاهرة. [٣٠] وتستمر الأخبار عن صراع تيمور مع المماليك في بلاد الشام حتى وفاة تيمور سنة ٨٠٧ هـ/ ١٤٠٥ م في زمن الناصر ناصر الدين فرج بن برقوق (حكم: ٨٠١ . ٨٠٨ هـ/ ١٣٩٩ . ١٤٠٥ م). وقد اتسمت العلاقة بين تيمور لنك والمماليك بالاحتدام والتأزم نتيجة طغيان تيمور وجشعه في جمع الأموال وطغيان سلاطين المماليك في مصر أيضاً وعدم إدراكهم لحقيقة ظروف عصرهم. وكان برقوق قد قتل رسل تيمور عند ما بعثهم تيمور في بادئ الأمر مزودين بهدايا عديدة وقيمة وكتاب إلى السلطان برقوق احتوى على نوع من التهديد وطالب فيه بطرد أحمد بن أويس الجلائري وبيّن في كتابه أن حدود بلاده أصبحت تمتد من سمرقند إلى حدود العراق العربي المتاخمة لحدود دولة الناصر فرج نفسه، وأن أهالي هذه المناطق يتمتعون بحمايته وأن على السلطان المملوكي أن يرعى حدود الجوار وأن يقوي أواصر الصداقة بتبادل

الرسل معه، وأن يمكّن تجارَهُ من ممارسة عملهم والانتقال من مكان لآخر آمنين. [٣١] وخالف بدوره السلطان الناصر برقوق القواعد الدبلوماسية بين الدول وقتذاك وأمر بقتل رسل تيمور وأعلن العداء الصريح له. [٣٢] وبالرغم من غضب تيمور من عمل برقوق هذا وما قام به بعض جيران المماليك وممن احتموا بهم من اشتباكات مع الولاة والأمراء المقرّبين من تيمور إلا أنه لم يقوم بشنّ حملة واسعة على مصر بل قام بمناوشات على أطراف بلادهم منها حصار ماردين واكتساح أرمينيا، ثمّ إنّه عرّج على بلاد السلطان قرا يوسف التركماني، [٣٣] كما أن نوّاب المماليك في حلب والملطية اشتبكوا مع طلائع جيش تيمور عند الرها وتمكنوا من هزيمتهم وأسر عدد كبير من اللنكية وهرب الباقون. [٣٤] ومع انتصارات المماليك هذه بدء برقوق يستعدّ للخروج إلى الشام، فورده كتاب آخر من تيمور يهدّده فيه إن لم يعلن تبعيّته له. كما اتهمه بظلم الرعية وأخذه للرشا من الحكام، ثم عنَّفَهُ على قتله لرسله السابقين [٣٥] وأنكر عليه إيواءه لأحمد بن أويس الجلائري ثانية [٣٦] فأجابه الناصر برقوق برسالة أخرة أقوى تعبيراً وأشد تهديداً [٣٧] وخرج برقوق إلى الشام فوصل إلى دمشق ثم حلب ثم عبر نهر الفرات وهاجمت قواته جيش تيمور وألحقت به الهزيمة. [٣٨] إلا أن ظروفاً أجبرت تيمور على الانسحاب عن حدود بلاد الشام والعودة إلى سمرقند عام ٧٩٩ هـ/ ١٣٩٦ م. ومن بعده قام تيمور بالتوجه إلى الهند في حملة وصل بها إلى دلهي وألحق الهزيمة بناصر الدين محمود شاه الثاني التغلقي (حكم: ٧٩٥ . ٧٩٧ هـ/ ١٣٩٣ . ١٣٩٥ م و٨٠١ . ٨٠٢ هـ/ ١٣٩٩. ١٤٠٠ م) في ربيع الأول من عام ٨٠١ هـ/ ١٣٩٩ م [٣٩] واستولى على كثير من الأقاليم الهندية الأخرى وأقيم له الدعاء في مساجد الهند. [٤٠]

وعند عودة تيمور من الهند كان السلطان برقوق المملوكي قد توفي في شوال عام ٨٠١ هـ/ حزيران ١٣٩٩ م وخلفه ابنه الصغير الناصر فرج بن برقوق كما أسلفنا سابقاً، فحدثت بعض الاضطرابات والتقلّبات منها

استيلاء السلطان بايزيد الأول بن مراد الأول العثماني (حكم: ٧٩٢ . ٨٠٥ هـ/ ١٣٩٠ . ١٤٠٣ م) على الملطية [٤١] وأسر الأمير قرا يوسف التركماني (حكم: ٧٩٠ . ٨٠٢ هـ/ ١٣٨٨ . ١٤٠٠ م و٨٠٩ . ٨١٠ هـ/ ١٤٠٦ . ١٤٠٧ م) الأمير المغولي أطلمش المقرّب من تيمور خلال غزوه لأرمينيا سنة ٧٩٨ هـ/ ١٣٩٦ م وأرسله محبوساً إلى القاهرة، وحينها طلب تيمور إطلاق سراحه فرفض برقوق آنذاك. [٤٢] واستغل أحمد بن أويس الجلائري الذي عاد إلى بغداد نائباً عن سلطان مصر فرصة عدم تواجد تيمور في المنطقة فأغار على أذربيجان التي كانت بيد الأمير ميرانشاه بن تيمور سنة ٨٠٠ هـ/ ١٣٩٨ م. [٤٣] وعند وصول تلك الأنباء أدرك تيمور أن الوقت قد حان للهجوم على الشام والانتقام من المماليك، [٤٤] فدخل الشام من ناحية سيواس على رأس قواته، ثم اتجه نحو الملطية والبُهَنْسَا وعينتاب بعد أن أحرق ضياعها وقتل معظم سكانها [٤٥] ثم اتجه صوب حلب، فاستنجد دمرداش المحمدي نائب حلب بنواب المدن الشامية الأخرى مثل دمشق وطرابلس وحماة وصفد وغزة، فخرجوا متحدين إلى ظاهر حلب بعد أن تأخرت قوات السلطان الناصر فرج [٤٦] واشتبكوا مع تيمور إلا أن تيمور استطاع هزيمتهم في ١١ من ربيع الأول عام ٨٠٣ هـ/ ٢ تشرين الثاني ١٤٠٢ م وأشعل فيها النيران وأبيحت المدينة لأربعة أيام ووضع السيف في كل السكان، كما أسرت قوات تيمور لنك الأمراء المماليك الذين اجتمعوا بقلعة المدينة وأمر تيمور لنك بحبسهم جميعاً. [٤٧]

ولم يكن السلطان الناصر فرج بن برقوق على مستوى المسؤولية من أحداث الشام في تلك الفترة واتسم موقفه بالعجز الشديد والقصور عن إدراك السليم لجسامة الخطر لذي يهدّد مملكته، ومع أن نوّاب البلاد الشامية أرسلوا التحذيرات المتتالية إلى القاهرة منذ وصول طلائع قوات تيمور إلى عينتاب إلا أنه لم يضع الخطط الفورية لمعالجة الغزاة [٤٨] بل تشاغل السلطان عن ذلك "بشرب الخمر وسماع الزمّور حتى تمكّن تيمور من البلاد وعمّ فيها الفساد". [٤٩] ومع تكرار تحذيرات نوّاب الشام فقد اجتمع بقوّاد العسكر والعلماء

والقضاة للتشاور فأرسل الأمير "أسنبغا الدوادار" مبعوثاً خاصاً إلى بلاد الشام لتعبئة قوّات الشام. ومع عودة المبعوث وإخبار السلطان فرج بن برقوق باحتلال تيمور لحلب [٥٠] تحرّك السلطان فرج مؤخراً بقواته في ربيع الآخر سنة ٨٠٣ هـ/ تشرين الثاني ١٤٠٠ م، في حين كان تيمور قد تحرّك صوب دمشق لانتزاعها من يد المماليك. واستطاع جواسيس تيمور وحيله الفذة من إيقاع خلاف بين أمراء جيوش السلطان فرج بن برقوق واختفى بعضهم للانقلاب على السلطان المملوكي في القاهرة ممّا استدعى السلطان فرج العودة إلى القاهرة مسرعاً. [٥١]

وواجه سكان دمشق بعد رحيل الناصر فرج بن برقوق موقفاً حرجاً. ومع سلسلة من الحيل والأكاذيب السياسية والعسكرية استطاع تيمور من الاستيلاء على المدينة بين صلح في بادئ الأمر ثم دخلها عنوة، فنهبها وأحرقها كما فعل بحلب. وقد هلك معظم سكان المدينة وهم خلق لا يحصى كما عبّر المؤرخون. [٥٢] وأخيراً عاد من دمشق إلى سمرقند وقد اصطحب معه كل الحرفيين والعمّال المهرة الذين حفلت بهم دمشق. [٥٣]

هذا باختصار ما فعله تيمور بالشام جرّاء حبّه في التوسّع وعدم اكتراثه بالأنفس البشرية وحبّه للجاه والمال وتشرذم المماليك وصراعهم على السلطة وغفلتهم عن رعاية مصالح المسلمين وانشغالهم بأمور الدنيا واللهو وحبّ التسلّط واقتناء الأموال والجاه والمقام وغيره من الأمور الدنيوية ممّا جعل الأبرياء عرضة للقتل والسلب والنهب وغيرها من الكوارث والبلايا.

ثالثاً: الصراع السياسي بين تيمور لنك والعثمانيين:

أما عن وضع البلاط العثماني وعلاقاته الخارجية بالمماليك وتيمور وخلفائه وبعد توجّه تيمور نحو القضاء على سلطة المماليك في بلاد الشام اتجه هذه المرة نحو منافسه الآخر وهو بايزيد الأول العثماني وأخذ يلتمس الأسباب لتعجل الصدام بينه وبايزيد، فطلب منه ابتداءً استرداد أحمد بن أويس الجلائري وقرا يوسف

التركماني اللذين احتميا به؛ وفي المقابل رفض بايزيد طلب تيمور هذا، فكان هذا الرد الفرصة المناسبة لخروج تيمور لحربه في المحرم من سنة ٨٠٥ هـ/ تموز ١٤٠٢ م [٥٤] واستخدم الحيلة أيضاً معه، فسار في طريق مختصر عبر الجبال إلى أنقرة في طريق غير الذي توقّعه بايزيد [٥٥] ودارت رحى معركة طاحنة وقع فيها السلطان العثماني في أسر تيمور [٥٦] وتقدّم التتار حتى احتلوا بورصة العاصمة الثانية للعثمانيين [٥٧] وأعادوا جميع أمراء السلاجقة إلى أملاكهم التي استولى عليها العثمانيون. [٥٨]

كما نلاحظ اهتماماً أوروبياً بتحرّكات تيمور هذه ضدّ العثمانيين والمماليك وهما القوتان الإسلاميتان الجارتان لهما والخصمين اللدودين المهدّدين لمصالحها في المشرق. وعليه حاولت أوروبا النيل من المماليك والعثمانيين من خلال التقرّب إلى تيمور، فأرسل "مانويل الثاني" [٥٩] (حكم: ١٣٩١ . ١٤٢٥ م) إمبراطور بيزنطة في القسطنطينية وملك مملكة جنوة عرضاً للمساعدة بإرسال قوة من المشاة والفرسان والأموال اللازمة للحرب. [٦٠] كما بعث هنري الثالث [٦١] ملك إسبانيا وفداً سياسياً سنة ١٤٠٢ م/ ٨٠٤ هـ لتهنئة تيمور لنك بعد انتصاره في معركة "أنقرة" ولبحث سبل الارتباط معه بأي نوع من أنواع التحالف لدعم علاقات بلده مع تيمور، فعاملهما تيمور معاملة طيبة، ثم أعادهما إلى إسبانيا مع رسول من عنده يدعى "محمد القاضي"، وحمّله خطاباً ودياً وهدايا من جملتها جواهر وجوارٍ. وشجّع هذا الود هنري الثالث على محاولة الارتباط بأي نوع من التحالف مع تيمور لنك فأرسل في ٢٢ من أيار سنة ١٤٠٣ م/ الأول من ذي القعدة سنة ٨٠٥ هـ بعثة أخرى برئاسة "كلافيخو" [٦٢] مندوبه الخاص الذي دوّن ملاحظاته في كتاب وصل إلينا. [٦٣] وبالرغم من أن الهدف من إيفاد الرسل إلى تيمور وتحريضه لقتال العثمانيين كان إزالة خطر العثمانيين أو التخفيف من حدّته، ومع وقوع القتال في وقت حاسمٍ من تاريخ توغلات بني عثمان في أوروبا إلا أنه لم يتضح في أي مصدر تاريخي ما يدلّ على قيام أي نوع من التحالف بين تيمور لنك وبين القوى الغربية. [٦٤]

وأهم نتيجة من نتائج غزوة تيمور المدمّرة هذه للعثمانيين هو استجابة السلطان الناصر فرج بن برقوق لطلبه مباشرة عندما كتب له تيمور كتاباً أنبأه فيه بغزوه للدولة العثمانية وطالبه بإطلاق أطلمش ووعده بالإفراج عما بحوزته من أسرى من الأمراء ونوّاب المماليك وإن امتنع فإنه سيعود ليخرّب مصر. [٦٥] فقد أحضر فرج بن برقوق أطلمش وخلع عليه وأطلقه مصحوباً ببعثة من أمرائه. [٦٦] وهكذا تمّ الصلح المهين بين السلطان فرج بن برقوق وتيمور لنك، ولو قدّر لبلاد السلطان أن يحسن الانتفاع بالقوة ويحالف السلطان العثماني وغيره من أمراء المشرق الذين فاوضوا السلطان فرج في أمر تيمور لنك قبل انهيال جمهرة جيوشه على بلادهم، ولو نظّم الأمراء قوّاتهم واتفقوا في تلك الظروف لأمنت بلادهم عادية تيمور لنك وجيوشه. [٦٧]

رابعاً: أثر الصراع السياسي بين تيمور لنك والمماليك والعثمانيين على البلدان التي دار فيها هذا الصراع:

أما فيما يتعلّق بأثر هذا الصراع على البلدان التي دار فيها هذا الصراع فيتلخص هذا الأمر في جانبي الاقتصادي والاجتماعي، فقد عرف عن تيمور شدّة جشعه ونهمه لجمع الأموال والسيطرة السياسية على مزيد من المناطق وضمّها تحت سيطرته. ففيما يتعلق ببلاد الشام وما وصلنا مما ذكره المؤرخون في هذه الحقبة نجد أن ما أحدثه تيمور في بلاد الشام من حروب ومعارك ومجازر قد أخلت بالاستقرار الذي نعمت به بلاد الشام على مر العصور الإسلامية المتلاحقة، فكانت استباحته لكبريات مدنها حلب ودمشق على أوسع نطاق وبأشد أشكالها وصورها بعد أن كانت "كثيرة الميرة والرزق". [٦٨] ومن أبشع صورها أنه أحلّ لجيشه جميع ما فيها من متاع وأموال فأطلق عليها لفظ الغنيمة من "المأكول والمشروب والدواب والملابس والتحف" وما عبّر عنه بـ "الطقزّات" بالتركية [٦٩] وكان يطلب من أهالي دمشق الأموال للصلح عوضاً عن غزوها فطرح بين يديه "ألف ألف دينار، فغضب ولم يرض به وفرض عليهم ألف تومان ـ والتومان عبارة

عن عشرة آلاف دينار من الذهب ـ فرضاً عن أجرة أملاكهم وألزموا كل إنسان من ذكر وأنثى، حرٍ وعبدٍ بعشرة دراهم، وألزم كل وقفٍ بجمل مالٍ له جِرْم، فنزل بالناس باستخراج هذا منهم ثانياً بلاء عظيم وعوقب كثير منهم بالضرب، فغلت الأسعار، وعزّ وجود الأقوات، وبلغ المدّ القمح ـ وهو أربعة أقداح ـ إلى أربعين درهماً فضة...". [٧٠] فضلاً عن إلزام الدمشقيين بإخراج أموال من فرّ منهم [٧١]، وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدلّ على ثراء دمشق والدمشقيين قبل غزو تيمور وعلى ذكاء تيمور وأيضاً شدة جشعه وحبّه في حيازة الأموال بغير وجه حق.

ونتيجة للسلب والنهب التي تعرضت لها الأراضي الشامية وإجراءات تيمور التعسّفية لحق بالبلاد أزمة اقتصادية حالكة نتيجة ما ولّاه تيمور لأمراء جيشه على حارات دمشق المختلفة ليكثروا من السلب والنهب فندرت الأقوات في الأسواق فضلاً عن المدن فلحق بالناس بلاء عظيم كما وصف الحلة ابن تغري بردي وغيره من المؤرخين "فقلّت الأرزاق وعزّ وجود الأقوات، وبلغ مدّ القمح ـ وهو أربعة أقداح ـ إلى أربعين درهماً فضة". [٧٢] كما يجدر الإشارة إلى وصف ابن عربشاه لشدة السلب والنهب وجشع جيش تيمور في أخذ مختلف النفائس وسلب ونهب أي شيء فقال في بعض ما كتب واصفاً تلك الأيام: "ثم ارتحل ذلك الفتّان، وأقلع صيّب بلائه الهتّان، يوم السبت ثالث شعبان، وقد أخذوا من نفائس الأموال فوق طاقتهم، وتحمّوا من ذلك ما عجزت عنه قوى استطاعتهم، فجعلوا يطرحون ذلك في الدروب والمنازل، ويلقونه شيئاً فشيئاً في أوعار المراحل، وذلك لكثرة الحمل وقلّة الحوامل، وأضحت القفار والبراري والجبال والصحاري من الأمتعة والأقمشة كأنها أسواق الدهشة، وكأن الأرض فتحت خزائنها، وأظهرت من المعادن والفلزّات كامنها...". [٧٣]

وقد عمل عسكر تيمور على إنزال أشد أنواع البلاء بأهل حلب ودمشق من ألوان القهر والظلم ما لا يوصف وتقشعرّ له الأبدان وتندى له جبين الإنسانية وقد سجّله مؤرخو تلك السنين من الاستيلاء على الأموال

والضرب والعصر والإحراق بالنار والتعليق منكوساً و. واستمر هذا العذاب النفسي والجسدي لمدة تسعة عشر يوماً فهلك في هذ المدة بدمشق بالعقوبة والجوع خلق لا يعلم عددهم كما وصف ابن تغري بردي. (٧٤)

أما من الناحية الاجتماعية فقد أحدث هذا الغزو تحولاً اجتماعياً في الشام ومصر لبرهة من الزمن نتيجة هروب الفارين من العلماء والأعيان وأهالي بلاد الشام إلى مصر مركز الدولة المملوكية ممّا تسبب في أن تستجيب الدولة المملوكية تجاه هذا التحرك السكاني الشامي نحو مصر لإيواء هؤلاء الفارين وتوفير فرصة عمل لهم. كما دعا البعض من المصريين لطرد العنصر الأعجمي من البلاد رغبة من الانتقام لما لحق بالشاميين والمصريين جراء حروب تيمور وعساكره الأعجمية "حتى لهج الناس بالكتابة على الحيطان: من نصرة الإسلام قتل الأعجام". (٧٥) ولعل هذا الاضطرابات الاجتماعية هي التي تسبّبت في تمكّن الفرنجة من السطو على "ستة مراكب موسقة قمحاً، سار بها المسلمون من دمياط إلى سواحل الشام، ليباع بها، من كثرة ما أصابها من القحط والغلاء من نوبة تمر لنك". (٧٦)

ومن جملة ما تأثرت به المنظومة الاقتصادية الشامية والمصرية جراء غزو تيمور لبلاد الشام وتأثر مصر بها كونها بالجوار وتحكم الشام أيضاً هو فقدان التوازن في تواجد كميات الدنانير والدراهم مع الفلوس النحاسية نتيجة أعمال النهب التي شهدتها هذه المناطق، فقد عرفنا جشع تيمور الشديد ونهمه وحبه في تملّك وحيازة الأموال وأنه طلب من أهل دمشق أن يحضروا له ألف تومان ـ والتومان كما ذكرنا يعادل عشرة آلاف دينار ـ ثمناً للمصالحة معهم أي أنه طلب عشرة آلاف ألف ـ أي عشرة ملايين ـ دينار، وبعد إحضار هذا المبلغ لم يكتف بذلك بل طلب منهم ما تركته العساكر المصرية من سلاح وأموال، وبعد استيفاء هذه الأموال لم يكتف بذلك أيضاً وطلب بإخراج أموال من فرّ من دمشق (٧٧) عدى ما سيطر عليه جنوده في

آخر أيام تواجد عسكره في دمشق من نهب الدور والمحالّ التجارية والأوقاف والمساجد والأماكن العامة.[٧٨] فبعد كل هذا نقول هل بقي في المدينة شيء؟ ودمشق مركز بلاد الشام وأكبر مدنها وأكثرها ازدهارا على مرّ العصور الإسلامية المختلفة. فكانت الناس في الشام ومصر تعاني من نقصان العملة الذهبية والفضية فكثر الطلب عليهما في وقت كثر فيه العملات النحاسية (الفلوس).

أما البعد الحضاري الآخر الهام الذي تأثر بهذا الغزو الجائر فهو التهجير القسري للعلماء وأرباب الفنون والآداب من دمشق إلى مدينة سمرقند حاضرة تيمور، فعلى الرغم من توحشه في الجانب العسكري نراه يهتم بالفنون والآداب؛ وقد أبقى على الفنانين الشاميين وحرص على نجاتهم من القتل وهتك الحرمات. قال ابن عربشاه: "وأخذ من دمشق أرباب الفضل وأهل الصنائع وكل ماهر في فن من الفنون بارع من النساجين والخياطين والحجارين والنجارين والإقباعية والبياطرة والخيمية والنقاشين والقواسين والبازدارية، وفي الجملة أهل أي فنٍّ كان، وجمع كل ذكر السودان، وأمرهم أن يوصلوهم إلى سمرقند... وأخذ من الفقهاء والعلماء وحفاظ القرآن والفضلاء وأهل الحرف والصناعات والعبيد والنساء والصبيان والبنات ما لا يسع الضبط ولا يحل الربط". [٧٩]

أما بالنسبة للصراع السياسي بين تيمور والعثمانيين فقد نجم عنه خسارة السلطان بايزيد الأول العثماني الذي كان لتوه كوّن امبراطورية في آسيا الصغرى وكان جاهزاً للانقضاض على القسطنطينية مركز الدولة البيزنطية في معركة أنقرة الطاحنة وأسره وصارت الدولة العثمانية الناشئة على وشك أن تنهار بعد أن احتل تيمور "بورصة" عاصمة العثمانيين الثانية، وأعيد جميع الأمراء السلاجقة إلى أملاكهم التي استولت عليها الدولة العثمانية. [٨٠]

وكانت معركة أنقرة قد خلّفت عدة نتائج هامة انعكست على واقع حال بلاد الأناضول والدولة العثمانية الفتية فيه، فقد أخرت هذه المعركة بقاء الإمبراطورية البيزنطية التي كانت تلفظ أنفاسها الأخيرة مدة كانت قرابة الخمسين عاماً، كما أن هزيمة العثمانيين هذه لم تشكل الضربة التي أنهت العثمانيين، إذ أنهم كانوا في دور التكوين ومن الممكن للدول وهي في هذا الدور أن تمتصّ الضربات وتعاود النهوض من جديد، وكان لعودة تيمور من ساحة الصراع مع العثمانيين وعدم اهتمامه بالأناضول وإسقاط الدولة العثمانية الأثر الأساسي في استمرارية الدولة العثمانية، لكن مع هذا استطاع تيمور من إعادة إحياء الإمارات التركية التي قضى عليها العثمانيون، كما أن لسياسات خلف بايزيد الأسير سليمان في انقاذ ما تبقى من وجاهة ومكانة للدولة العثمانية ومهادنة تيمور تقديم فروض الولاء والطاعة له وبالتالي قبله تيمور أن يصبح والياً له على الأملاك العثمانية، كما كانت معركة أنقرة بمثابة تجميد تاريخي لانتشار وتوسّع الدولة العثمانية وخاصة خلال الفجوة الزمنية التي عاشتها من واقع الصراع على السلطة حيث أطلق عليها المؤرخون "دور الفترة". [٨١]

على أن السلطان فرج بن برقوق صالح تيمور لنك بعد ما رأى ما فعله تيمور بخصمه بايزيد الأول العثماني، بعد أن أرسل تيمور لنك كتاباً إلى السلطان فرج أنبأه فيه بغزوه للدولة العثمانية وطالبه بإطلاق أطلمش نائبه على بعض القلاع القريبة من تبريز [٨٢] في مقابل إطلاق تيمور لما لدين من الأمراء والنواب والمماليك المأسورين. وأما إذا امتنع السلطان فرج عن تنفيذ مطالبه فإنه سيعود لتخريب مصر. [٨٣] فقبل السلطان فرج الصفقة خانعاً خاضعاً وأطلق سراح أطلمش فخلع عليه السلطان فرج وأنعم عليه بخمسة آلاف درهم وأطلقه مصحوباً ببعثة من أمرائه. [٨٤] وكان هذا الصلح المذل نتيجة طبيعية لأفعال السلطان فرج بن برقوق ولو قدّر لبلاد السلطان أن يحسن الانتفاع بالقوة ويحالف السلطان العثماني وغيره من أمراء الشرق الذين

فاوضوا السلطان فرج في أملا تيمور لنك قبل انهيال جمهرة جيوشه على بلادهم، ولو نظم الأمراء قواتهم واتفقوا في هذه الظروف الحرجة لأمنت البلاد عادية تيمور لنك وجيوشه.

الخاتمة:

وبعد هذه الرحلة في الصراع الدامي على السلطة بين تيمور مع المماليك والعثمانيين يمكننا أن نختم بحثنا من خلال القول:

استطاع تيمور الأعرج (لنك) من الوصول إلى دفّة الحكم مستغلاً الفوضى السياسية والعسكرية الناتجة عن سقوط الدولة الإيلخانية في بلاد فارس والعراق وكثرة الدول المحلية التي كانت تتصارع من أجل توسيع مناطق نفوذها، فغزى المشرق الإسلامي والعراق وبلاد الشام والأناضول وشرق أوروبا والهند وكان يخطط لغزو الصين إلا أن الموت أدركه. وخلف من خلال سلسلة غزواته هذه التي عدها مؤرخو عصره فجعلوها خمسة حملات سلسلة من النكبات ودمار هائل في مختلف المدن وحواضر البلدان الإسلامية مثل أصفهان وبغداد وحلب ودمشق وأنقرة وغيرها من المدن، إلا أن خلفاؤه استطاعوا أن ينهضوا بهذه البلدان التي خربها سلفهم فقد كانوا مسالمين قد جنحوا إلى التحضر ودعم العلم والعلماء مما يجعلنا أن نعتبر عصر خلفائه عصر ازدهار للعلوم والفنون والآداب، فقد كان بلاط السلطان حسين بايقرا آخر ملوك بني تيمور لا يقل شأناً عن بلاط شاهرخ خليفة تيمور بعد وفاته. وحتى تيمور نفسه مع شدته في الحسم العسكري إلا أنه كان يجلّ ويحترم العلماء ويأخذ من شاء من الحرفيين والصنّاع والفنّانين والعلماء عند غزوه لكل مدينة إلى سمرقند. وامتاز عصر خلفاء تيمور بكثرة المدارس والمنشآت العلمية التي استحدثها السلاطين والأمراء، كما وجدت الكثير من الأوقاف لتعليم العلوم الشرعية احتوت على مدارس ومساجد ومساكن للطلاب وكانت أجور الطلاب والخدم تدفع من تلك الأوقاف والمبرّات.

كما أن تيمور وخلفاؤه كانوا قد خالفوا سياسيات الايلخانيين في الحياد الديني بل إلا أننا نجد أن الروحية المذهبية مسيطرة في هذه الفترة على مختلف الصعد الاجتماعية وأن تيمور وخلفائه حكموا وفق قواعد الشريعة الإسلامية وكانوا متدينين حقيقتاً أو كذباً، وهذا الأمر مع كثرة النكبات التي كانت تتلاقاها الشعوب الإسلامية في المشرق جراء غزو المغول ومن بعده غزوات تيمور وظلم السلاطين والملوك وولاتهم أدّى إلى تقوية الوازع الديني في المجتمع. فالتيموريين ومع ظلمهم وبطشهم ضد رعاياهم إلا أنهم كانوا يرعون علماء المذاهب والمشايخ وكانوا يجلّونهم ويتواضعون أمامهم وكانوا في نفس الوقت يبحثون عن سبب شرعي ليجعلوه حجة في توسعاتهم في كافّة البلدان.

وجراء هذه السياسة الدينية التي اتخذها التيموريين وتنامي النكبات وظلم السلاطين والملوك تنامت ظاهرة اجتماعية هي الحركة الصوفية واتساع التدين بهذا السلوب. والأهم من ذلك هو الإمتزاج الحاصل بين بعض العقائد الصوفية مع أفكار وعقائد شيعية لتكوين حركات فكرية سياسية مثل الطريقة "الصفوية". وكان هذا الأمر نتيجة توسع والنتشار التشيع بموازاة التوجهات الصوفية التي دعمتها السلطة التيمورية أيضاً.

وبالنسبة لتوسعات تيمور وصراعه على السلطة السياسية مع المماليك فقد بدأت أخباره تتصل بالشام ومصر والمماليك عندما افتتح بغداد وهروب السلطان غياث الدين أحمد بهادر بن أويس الجلائري إلى السلطان برقوق المملوكي في القاهرة. وتستمر الأخبار عن صراع تيمور مع المماليك في بلاد الشام حتى وفاة تيمور سنة ٨٠٧ هـ/ م في زمن الناصر ناصر الدين فرج بن برقوق (حكم: ٨٠٨.٨٠١ هـ/ م). وقد اتسمت العلاقة بين تيمور لنك والمماليك بالاحتدام والتأزم نتيجة طغيان تيمور وجشعه في جمع الأموال وطغيان سلاطين المماليك في مصر أيضاً وعدم إدراكهم لحقيقة ظروف عصرهم. فما كان من هذه الظروف إلا أن تنتج تدمير حاضرتي بلاد الشام أي حلب ودمشق ونهبها من قبل قوات تيمور.

أما بالنسبة لاحتكاك تيمور مع العثمانيين فإنه كان يلتمس أبسط الأعذار لهذا الشأن أيضاً فمخالفة بايزيد الأول لتسليم الأميرين الجلائري والقره قويونلو كان السبب وراء غزوه لبلاد العثمانيين في معركة أنقره الشهيرة كان نتاجها أسر السلطان العثماني بايزيد الأول على يد تيمور وإعادة أمراء السلاجقة إلى أملاكهم الذي استولى عليها العثمانيون. كما نتج عن هذا التبعثر في أملاك الدولة العثمانية وتحركات تيمور ضد المماليك وهما القوتان الإسلاميتان العظيمتان آنذاك تحرك أوروبا للنيل منهما من خلال التقرب لتيمور فأرسلت وفودها فكان تيمور قد تعامل مع جلها تعاملاً سمحاً إلا أنه ليس هناك أي نصّ الّ على استغلاله لهذه العلاقات ضدّ المسلمين. كما أن هذه الهزيمة النكراء دعت سلطان مصر آنذاك الناصر فرج بن برقوق لمصالحة تيمور والاستجابة لشروطه.

وبشكل عام إذا ما استطلعنا سريعاً نتائج وأثر هذا الصراع على البلدان التي دار فيها هذا الصراع، نجد أنه اقتصادياً تعرضت الأراضي الشامية لأزمة اقتصادية حالكة نتيجة لكثرة السلب والنهب، فندرت الأرزاق في الأسواق فضلاً عن المدن، ولحق بالناس بلاء عظيم حسب وصف المؤرخين، حتى أن ابن عربشاه ذكر أنه من كثرة ما حمل جيش تيمور من المواد المسلوبة والمنهوبة أخذ الجند يطرحون الزائد منها في الطرقات والمراحل التي يمر بها الجيش. وتعرضت بلاد الشام إلى فقدان التوازن في تواجد كميات الدنانير والدراهم مع الفلوس النحاسية نتيجة أعمال النهب التي شهدتها هذه المناطق وما جلبه تيمور من أموال من الشاميين من أجل المصالحة بلغت الأموال المستحصلة من دمشق خمسة ملايين دينار.

كما أن أهل الشام تحديداً قد تعرضوا لشتى أنواع العذابات الجسدية والنفسية على يد جنود تيمور عند غزوه لكبريات مدن الشام سيما حلب ودمشق تندى لها جبين الإنسانية من الضرب والعصر والإحراق بالنار والتعليق منكوساً.

ومن الناحية الاجتماعية أحدث هذا الغزو تحولاً اجتماعياً في الشام ومصر لبرهة من الزمن نتيجة هروب الفارين من العلماء والأعيان وأهالي بلاد الشام إلى مصر مركز الدولة المملوكية ممّا تسبب في أن تستجيب الدولة المملوكية تجاه هذا التحرك السكاني الشامي نحو مصر لإيواء هؤلاء الفارين وتوفير فرصة عمل لهم. كما تعرض بلاد الشام تحديداً لنقص في ارباب المهن والصناعات والعلماء نتيجة لترحيلهم القسري على يد تيمور إلى مركزه في سمرقند في إجراء تعسّفي آخر بحق البلدان التي نكبت جراء غزو تيمور وإهمال رعاتها المماليك.

أما فيما يخص بأثر هذا الصراع على بلاد الأناضول فقد أدى إلى كسر شوكة العثمانيين مؤقتاً وارجاع بلادهم على ما كانت عليه قبل معركة أنقرة وتأجيل افتتاح القسطنطينية لخمسين عاماً. كما سال لعاب الملوك والأمراء المسيحيين في أوروبا لهذه النكبات التي تعرضت لهما دولتا المماليك والعثمانيين فأرسلوا الوفود لتيمور لانفتاح عليه واستغلاله لغرض القضاء على هاتين الدولتين الاسلاميتين الكبيرتين، إلا أن النصوص التاريخية لا تفيد باستجابة تيمور سياسياً وعسكرياً لهذه الجهود الأوروبية في الانفتاح عليه عدى الرد الدبلوماسي على هذه الوفود بالكرم وحفاوة الاستقبال والارجاع.

الهوامش:

١ . الجاف: موسوعة تاريخ إيران، ج ٢، ص ٣١٣ . ٣١٤.

٢ . م. ن.، ص ٣٩١.

٣ . زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ص ٣٧٧ . ٣٨٣.

٤ . جمع من المستشرقين: دائرة المعارف الإسلامية، ج ٦، ص ١٦٠.١٦٣، (مادة: تيمور لنك)

٥ . م. ن.، ج ٦، ص ١٦٤، (مادة: تيمور: بنو).

٦ . م. ن.، والصفحة.

٧ . مير جعفري: تاريخ تحولات سياسي واجتماعي واقتصادي وفرهنكي إيران در دوره تيموريان وتركمانان، ص ١٣٧.١٣٨.

٨ . م. ن.، ص ١٣٨.١٣٩

٩ . يزدي: ظفرنامه، ج ٢، ص ٤٤٧؛ مير جعفري: تاريخ تحولات، ص ١٦٤.١٦٥.

١٠ . مير جعفري: م. ن.، ص ١٦٥.

١١ . م. ن.، والصفحة، نقلاً عن: عبد الرزاق السمرقندي: مطلع السعدين ومجمع البحرين، ج ٢، ص ٧٣٩.

١٢ . م. ن.، والصفحة.

١٣ . م. ن.، ص ١٦٦.

١٤ . للمزيد من التفاصيل ينظر: الشيبيٍ: الصلة بين التصوف والتشيع، ج ٢، ص ١٤٣ وما بعدها.

١٥ . ينظر: مير جعفري: تاريخ تحوّلات، ص ١٦٧.

١٦ . الشيبي: الصلة، ج ٢، ص ١٥٣؛ وللمزيد من التفاصيل عن هذه الحركات الصوفية الشيعية في العصر التيموري ينظر: م. ن.، ج ٢، ص ١٥١ وما بعدها.

١٧ . صفا: تاريخ ادبيات إيران، ج ٤، ص ٧١.٦٩؛ مير جعفري: تاريخ تحولات، ص ١٧٧.١٧٦.

١٨ . طقوش: تاريخ المماليك في مصر والشام، ص ١٥.١٦.

١٩ . م. ن.، ص ٢١.

٢٠ . م. ن.، ص ٢١.٤٣.

٢١ . المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج ٣، ص ٧٦٤؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٦، ص ٢٩٤؛ ابن أياس: بدائع الزهور، ج ١، قسم ١، ص ٢٦٩.

٢٢ . ابن خلدون: العبر، ج١٠، ص١٠١١.

٢٣ . المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج ٣، ص ٧٨٠؛ السلوك في ذكر دول الملوك، ج ١، قسم ٣، ص ٨٠٠؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ٣٣٠.

٢٤ . عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، ص ١٤٣.

٢٥ . م. ن.، ص ١٤٤.

٢٦ . طرخان: مصر في عهد دولة المماليك الجراكسة، ص ٥٦.٥٥؛ متروك: الحياة العلمية في بلاد الشام في عصر المماليك الجراكسة، ص ٣٢.

٢٧ . طرخان: م. ن. والصفحة؛ متروك: م. ن. والصفحة.

٢٨ . القلقشندي: مآثر الإنافة في معالم الخلافة، ج ٢، ص ١٤٢؛ السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج ٢، ص ١٠٤.١٠٥؛ صَصْرَى: الدرة المضيئة في أخبار الدولة الظاهرية، ص ٢٩.٢٨، ٧٥.٧٣.

٢٩ . طرخان: مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، ص ١٥.

٣٠ . صصرى: الدرة المضيئة، ص١٥٦.١٥٧.

٣١ . شامي: ظفر نامه، ص ٢٢١.٢٢٢؛ عبد السيد: قيام دولة المماليك الثانية، ص ١٢٥.

٣٢ . شامي: م. ن.، ص ٢٢٢؛ ميرخواند: تاريخ روضة الصفا في سير الأنبياء والملوك والخلفا، ج ٩، ص ٤٩٦٣.

٣٣ . عبد السيد: قيام دولة المماليك الثانية، ص ١٢٦.

٣٤ . ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١٢، ص ٤٣.

٣٥ . صصرى: الدرة المضيئة، ص ١٦٤.١٦٥؛ المقريزي: السلوك، ج ٣، قسم ٢، ص ٨٠٣.٨٠٥.

٣٦ . ابن حجر العسقلاني: إنباء الغُمْرِ بأَنبَاء العُمْرِ، ج ٣، ص ٢٠٦.

٣٧ . المقريزي: السلوك، ج ٣، قسم ٢، ص ٨٠٥.٨٠٧.

٣٨ . ابن أياس: بدائع الزهور، ج ١، قسم ٢، ص ٤٦٩.

٣٩ . مير خواند: روضة الصفا، ج ٩، ص ٤٨٩٧.٤٩٠١.

٤٠ . مير خواند: م. ن.، ج ٩، ص ٤٩٠٦.٤٩٢٢؛ سليمان: تيمور لنك ودولة المماليك الجراكسة، ص ٢١.

٤١ . ابن أياس: بدائع الزهور، ج ١، قسم ٢، ص ٥٤٧.

٤٢ . ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٣، ص ٣١٤.

٤٣ . م. ن.، ج ٣، ص ٣٩٤.٣٩٥.

٤٤ . سليمان: تيمور لنك ودولة المماليك الجراكسة، ص ٢٢.

٤٥ . المقريزي: السلوك، ج ٣، قسم ٣، ص ١٠٢٨.

٤٦ . ابن عربشاه: عجائب المقدور في أخبار تيمور، ص ٩٥؛ ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٤، ص ١٩٥؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١٢، ص١٧٧.١٧٨؛ المقريزي: م. ن.، ج ٣، قسم ٣، ص ١٠٣٢؛ ابن أياس: بدائع الزهور، ج ١، قسم ٢، ص ٥٩٦.

٤٧ . ابن تغري بردي: م. ن.، ج١٢، ص ١٨٠؛ المقريزي: م. ن.، ج ٣، قسم ٣، ص ١٠٣٣؛ ابن أياس: م. ن.، ج ١، قسم ٢، ص ٥٩٨.

٤٨ . سليمان: تيمور لنك، ص ٢٧.

٤٩ . ابن أياس: بدائع الزهور، ج ١، قسم ٢، ص ٦٠١؛ السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج ٦، ص ١٥٢.

٥٠ . ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٢، ص ١٨٣؛ المقريزي: السلوك، ج ٣، قسم ٣، ص ١٠٧٣؛ ابن أياس: م. ن.، ج ١، قسم ٢، ص ٦٠١.٦٠٢.

٥١ . ابن تغري بردي: م. ن.، ج١٢، ص ١٨٨؛ المقريزي: م. ن.، ج ٣، قسم ٣، ص ١٠٤٥؛ ابن أياس: م. ن.، ج ١، قسم ٢، ص ٢٣٦.٢٣٧.

٥٢ . ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص ١١٦.١١٧؛ ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٤، ص ٢٠٩.

٥٣ . سليمان: تيمور ودولة المماليك، ص ٣٧.

٥٤ . المقريزي: السلوك، ج ٣، قسم ٣، ص ١٠٩٢؛ ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص ١٣٥.١٣٦؛ ابن أياس: بدائع

الزهور، ج ١، قسم ٢، ص ٦٦٠؛ ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٥، ص ٦١.

٥٥ . عبد السيد: قيام دولة المماليك الثانية، ص ١٤٢.

٥٦ . المقريزي: السلوك، ج ٣، قسم ٣، ص ١٠٩٢؛ ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص ١٣٥.١٣٦؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١٢، ص ٢٨٠؛ ابن أياس: بدائع الزهور، ج ١، قسم ٢، ص ٦٦٠؛ ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٥، ص ٥٥.٥٦.

٥٧ . المقريزي: م. ن.، ج ٣، قسم ٣، ص ١٠٩٢؛ ابن أياس: م. ن.، ج ١، قسم ٢، ص ٦٦٠.

٥٨ . عبد السيد: قيام دولة المماليك الثانية، ص ١٤٣.

٥٩ . Manuel II

٦٠ . عبد السيد: قيام دولة المماليك الثانية، ص ١٤٣.١٤٤؛ كلافيخو: سفرنامه كلافيخو، ص ١٨.

٦١ . Henry III

٦٢ . Clavijo

٦٣ . عبد السيد: قيام دولة المماليك الثانية، ص ١٤٣.١٤٤؛ كلافيخو: سفرنامه كلافيخو، ص ٤٠.٤١.

٦٤ . عبد السيد: م. ن.، ص١٤٤؛ جمع من المؤلفين: العصر المملوكي من تصفية الوجود الصليبي إلى بداية الهجمة الأوروبية الثانية، ص٩١.

٦٥ . ميرخواند: روضة الصفا، ج ٩، ص ٥٠٦٥.٥٠٦٦.

٦٦ . ابن حجر: إنباء الغمر، ج ٥، ص ٦٢.٦٣؛ ميرخواند: م. ن.، ج ٩، ص ٥٠٦٥.٥٠٦٦.

٦٧ . عبد السيد: قيام دولة المماليك الثانية، ص ١٤٥.

٦٨ . ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١٢، ص ١٩١.

٦٩ . م. ن. والصفحة.

٧٠ . ابن تغري بردي: م. ن.، ج ١٢، ص ١٩٢؛ المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ٣، قسم ٣، ص ١٠٤٧.١٠٤٨.

٧١ . ابن تغري بردي: م. ن.، ج ١٢، ص ١٩٣؛ المقريزي: م. ن.، ج ٣، قسم ٣، ص ١٠٤٩.

٧٢ . النجوم الزاهرة، ج ١٢، ص ١٩٢.

٧٣ . ابن عربشاه: عجائب المقدور في نوائب تيمور، ص ١٨١.

٧٤ . ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١٢.، ص ١٩٤؛ وينظر: المقريزي: السلوك، ج ٣، قسم ٣، ص ١٠٥٠.١٠٥١.

٧٥ . المقريزي: م. ن.، ج ٣، قسم ٣، ص ١٠٥٨.

٧٦ . المقريزي: م. ن.، ج ٣، قسم ٣، ص ١٠٥٩.

٧٧ . ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ١٢، ص ١٩٣.١٩٤؛ المقريزي: م. ن.، ج ٣، قسم ٣، ص ١٠٤٧.١٠٤٩.

٧٨ . ابن تغري بردي: م. ن.، ج ١٢، ص١٩٤.١٩٥؛ المقريزي: م. ن.، ج ٣، قسم ٣، ص ١٠٥١.

٧٩ . ابن عربشاه: عجائب المقدور، ص ١٢٠.١٢١.

٨٠ . فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص ١٤٧.

٨١ . طقوش: تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ص٧٣.٧٥.

٨٢ . ابن شاهين الظاهري: نيل الأمل في ذيل الدول، ج ٩، ص ٨٥؛ المقريزي: السلوك، ج ٣، ق ٢، ص ٨٥٠؛ ابن حجر: إنباء الغمر، ج ١، ص ٥٠٩؛ ويذكر ابن أياس أن أطلمش كان نائباً لتيمور على الرها في أثناء أسره. ينظر: ابن أياس: بدائع الزهور، ج ١، ص ٣٠٦.

٨٣ . العسقلاني: إنباء الغمر، ج ٥، ص ٦٢.٦٣.

٨٤ . نفسه.

المصادر والمراجع:

أ. المصادر العربية:

ابن إياس، أبو البركات محمد بن أحمد بن إياس الحنفي المصري (ت ٩١٣ هـ/ ١٥٢٤ م):

بدائع الزهور في وقائع الدهور، حقّقه وكتب له المقدمة والفهارس: محمد مصطفى، دار الكتب والوثائق القومية، ط٣، (القاهرة ٢٠٠٨).

ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي (ت ٨٧٤ هـ/ ١٤٧٠ م):

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، قدّم له وعلّق عليه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، (القاهرة ١٩٩٢).

ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد الكناني الشافعي (ت ٨٥٢ هـ/ ١٤٤٩ م):

إنباء الغمر بأبناء العمر، حقق بإشراف: محمد عبد المعيد خان، دار الكتب العلمية، ط٢، (بيروت ١٩٨٦).

ابن خلدون، أبو زيد ولى الدين عبد الرحمن بن محمّد بن محمّد الحضرمي الإشبيلي (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م):

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، (القاهرة وبيروت–١٩٩٩).

السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد (ت ٩٠٢ هـ/ ١٤٩٧ م):

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ضبطه وصحّحه: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، (بيروت ٢٠٠٣).

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد الخضيري (ت ٩١١ هـ/ ١٥٠٥ م):

حسن المحاضرة في تاريخ ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، (القاهرة ١٩٩٨).

ابن شاهين، زين الدين عبد الباسط بن خليل بن شاهين (ت ٩٢٠ هـ/ ١٥١٤ م):

نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، (صيدا وبيروت ٢٠٠٢).

ابن صصرى، محمد بن محمد بن أحمد (توفي بعد ٨٠١ هـ/ ١٣٩٩ م):

الدرة المضيئة في أخبار الدولة الظاهرية، تحقيق: عارف أحمد عبد الغني، دار سعد الدين ودار كنان، (دمشق ٢٠١٤)

ابن عربشاه، شهاب الدين أبو محمد أحمد بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم (ت ٨٥٤ هـ/ ١٤٥٠ م): عجائب المقدور في نوائب تيمور، مطبعة وادي النيل، (القاهرة . ١٢٨٥).

القرماني، أحمد بن يوسف بن أحمد بن سنان الدمشقي (ت ١٠١٩ هـ/ ١٦١٠ م):

أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، دراسة وتحقيق: فهمي سعد وآخرون، عالم الكتب، (د. م. . ١٩٩٢).

القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م):

مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد الفرّاج، مطبعة حكومة الكويت، ط ٢، (الكويت . ١٩٨٥).

المقريزي، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر الحسيني العبيدي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م):

السلوك لمعرفة دول الملوك، حققه وقدّم له ووضع حواشيه: سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتب والوثائق القومية، ط٢، (القاهرة . ٢٠٠٧).

المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، قابله بأصوله وأعدّه للنشر: أيمن فؤاد السيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، (لندن . ٢٠١٣)، ص٧٦٤.

ب. المصادر الفارسية:

شامي، نظام الدين عبد الواسع (ق ٩ هـ/ ١٥ م):

ظفر نامه: تاريخ فتوحات امير تيمور كوركاني، انتشارات بامداد، (تهران . ١٣٦٣ ش.).

ميرخواند، محمد بن برهان الدين خاوندشاه بن كمال الدين محمود (ت ٩٠٣هـ/ ١٤٩٨ م):

روضة الصفا في سيرة الأنبياء والملوك والخلفا، به تصحيح وتحشيه: جمشيد كيان فر، انتشارات اساطير، ط٢، (تهران . ١٣٨٥ ش.).

يزدي، شرف الدين علي (ت ٨٥٨ هـ/ ١٤٥٤ م):

ظفر نامه، تصحيح وتعليق: سيد سعيد مير محمد صادق، عبد الحسين نوائي، كتابخانه موزه ومركز اسناد مجلس شوراي إسلامي، (تهران . ١٣٨٧ ش).

ج. المراجع العربية والمعرّبة:

الجاف، حسن كريم:

موسوعة تاريخ ايران السياسي، الدار العربية للموسوعات، (بيروت . ٢٠٠٨).

جمع من المستشرقين:

دائرة المعارف الإسلامية، نقلها إلى العربية: محمد ثابت الفندي وآخرون، انتشارات جهان، (طهران . د.ت).

جمع من المؤلفين:

العصر المملوكي من تصفية الوجود الصليبي إلى بداية الهجمة الأوروبية الثانية (ضمن سلسلة مشروع العلاقات الدولية في التاريخ الإسلامي)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، (د.م . ١٩٩٦).

زامباور، إدوارد فون:

معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، أخرجه: زكي محمد حسن بك وآخرون، مطبعة جامعة فؤاد الأول، (القاهرة – ١٩٥١).

سليمان، أحمد عبد الكريم:

تيمور لنك ودولة المماليك الجراكسة، دار النهضة الهربية، (القاهرة . ١٩٨٦).

الشيبي، كمال مصطفى:

الصلة بين التشيع والتصوف، دار الأندلس، ط ٣، (بيروت . ١٩٨٢).

طرخان، إبراهيم علي:

مصر في عهد دولة المماليك الجراكسة، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة . ١٩٦٨).

طقوش، محمد سهيل:

تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، دار النفائس، ط ٢، (بيروت . ٢٠٠٨).

تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، دار النفائس، ط ٢، (بيروت . ١٩٩٩).

عاشور، سعيد عبد الفتاح:
العصر المماليكي في مصر والشام، دار النهضة العربية، (القاهرة . ١٩٧٦).
عبد السيد، حكيم أمين:
قيام دولة المماليك الثانية، تقديم: محمد مصطفى زيادة، الدار القومية للطباعة والنشر، (القاهرة . ١٩٦٦).
فريد بك، محمد:
تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقّي، دار النفائس، ط١٠، (بيروت . ٢٠٠٦).
متروك، عادل محمد دوينع:
الحياة العلمية في بلاد الشام في عصر المماليك الجراكسة (٧٨٤ . ٩٢٣ هـ/ ١٣٨٢ . ١٥١٧ م)، وزارة الثقافة، (عمّان . ٢٠١١).
د. المراجع الفارسية:
صفا، ذبيح الله:
تاريخ ادبيات در ايران، انتشارات فردوسي، ط٣، (تهران ١٣٦٤ ش.).
د كلاويخو، روي كونسالس:
سفرنامه كلاويخو، ترجمه: مسعود رجب نيا، شركت انتشارات علمي وفرهنكي، ط ٤، (تهران . ١٣٨٤ ش).
مير جعفري، حسين:
تاريخ تحولات سياسي اجتماعي اقتصادي وفرهنكي إيران در دوره تيموريان وتركمانان، سازمان مطالعه وتدوين كتب علوم انساني دانشكاهها (سمت) ودانشكاه أصفهان، (تهران واصفهان . ١٣٧٩ ش)
اني: م. ن.، ج ٥، ص ٦٤.